

المصطلح النقيدي في تراث أحمد مطلوب (رحمه الله)

بين القديم والحديث

م.د. محمد غانم شريف*

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/٩/١

تأريخ القبول: ٢٠١٩/٩/٢٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد:

فإن الدراسات الاصطلاحية تبقى وتحافظ على صدارتها في الدراسات الانسانية وحتى العلمية، لأن المصطلح ضابط للحقل الدلالي وعنصر لا يمكن الاستغناء عنه لأهميته، فيه يعرف العلم وينتشر وهو المسؤول عن استقرار الحقل العلمي من عدمه لأن أية اشكالية تنتابه تؤثر على الحقل العلمي برمته، لذا يعمل الباحثون على ضبط هذا العنصر وصياغته صياغة متقنة الى حد كبير لأن أي خللة في المصطلحات ستؤدي الى خللة في المفاهيم.

ان الاشتغال على الجانب الاصطلاحي والمفاهيمي هو اشتغال في أصل اللغة وهذا ما تبناه الأستاذ أحمد مطلوب في بدايات كتاباته، فقد وضع له هدفا وحققه في دراستيه، (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) و(معجم النقد العربي القديم)، وهذين المصدرين هما اساس لكل باحث مصطلحي لا يمكن ان يغادرها لأهميتها، فقد استطاع توظيف أكثر من ألف بحث في الدراسة تاريخيا من أقدم ناقد أو عالم الى اخر من تحدث عنه حتى استقراره، فضلا عن كتب اخرى، استطاع أن يثير هذه القضية ويجعلها محط انظار الباحثين، لإدراك حجم الاشكالية التي تعترى المصطلح اذا أسيء استعماله أو طرق وضعه فيما قبل.

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

ولأجل ذلك رأيت أن من الضروري أن يدرس الأستاذ احمد مطلوب في جزئية بسيطة من جزئيات منجزه الاصطلاحي فقد كان عمله منصبا على البحث في المصطلح القديم تنظيرا وتطبيقا، الى أن بدأ يبصر حجم المشكلة التي ولدت مع المصطلحات النقدية الحديثة فعمد الى دراسة المصطلح النقدي الحديث في كتابه (في المصطلح النقدي)، وفيه أصبحت آراؤه واضحة المعالم وينبئ عن خطر كبير جراء استعمال آليات النقل والترجمة واختلاف بيئة المصطلح مما ولد اضطرابا واضحا في المصطلح النقدي الحديث، ولكنه على الرغم من ذلك فإنه يصيغ حلولاً للإشكاليات الحالية من شأنها أن تقلل من فوضويتها.

وسار البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، استطاع التمهيد ان يبني صورة المصطلح في مراحل تكوينه وصياغته فضلا عن سيرة مختصرة للأستاذ احمد مطلوب ومنجزه الثقافي.

أما المبحث الأول فقد اختص بالمصطلح النقدي القديم فقط مع تطبيق على مصطلح التضمين، وأما المبحث الثاني فقد خصص للمصطلح النقدي الحديث مع تطبيق على مصطلح الشعرية، ثم تلتها الخاتمة، هذا وأسأل الله ان يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم والله من وراء القصد.

التمهيد

. المصطلح النقدي بين ما كان وما هو كائن .

أهمية المصطلح:

إن القارئ للدرس النقدي بشقيه (القديم والحديث) يدرك حجم الإشكالية التي يمكن أن توصف بين الزمنين (إن صح التعبير)، وذلك لأن الدرس النقدي قائم على معطيات وحيثيات، تحدّد في وقتها، فضلاً عن الركائز والمقومات التي يتكأ عليها، ولعل المصطلح النقدي هو الأهم في هذه المعادلة التي من شأنه أن يعمل على آلية توصيل المفهوم الى المتلقي من عدمه.

إن المصطلح النقدي بوصفه المرتكز الحقيقي للدرس النقدي، لم يأتِ اعتباطاً، وإنما لأهميته واهتمام الباحثين فيه، فقد تحدث أبو عمرو الجاحظ عن التحول الذي طرأ على الألفاظ بظهور الإسلام، وأشار إلى ترك الناس لألفاظ كثيرة، واستحداث ألفاظ

جديدة^(١)، ومن هنا بدأت حركة وضع المصطلحات، والتحاقها بعلموها المختلفة، حسب اختصاصها، وكيفية ملائمتها، واستطاعوا بهذا الأمر أن يستوعبوا العلوم والفنون^(٢)، لذا نجد التهانوي يقول: "إن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة، هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً به، إذا لا يُعلم بذلك لا يتييسر للشارع فيه الاهتداء سبيلاً، ولا إلى فهمه دليلاً"^(٣)، والحديث يطول عن أهمية المصطلح ومكانه ليس في الخطاب النقدي فحسب، بل في العلوم كافة، بوصفه الركن الأساس الذي يستند عليه أي علم أو فن، وبغيره تكون الإشكالية هي البديل، والفوضى هي السائدة.

طرائق وضع المصطلح بين القديم والحديث:

يكاد القارئ يدرك أن وضع المصطلح بين القديم والحديث مختلف جداً، لاسيما في الحقل النقدي، فالمصطلح النقدي الذي ينشأ في بيئته وينمو فيها حد الاستقرار، يختلف عن مصطلح مهجّر من ثقافة لأخرى، ولغة لأخرى، وهذا الاختلاف ليس على مستوى النقل فحسب، بل على المستوى المعرفي الثقافي، فلو رجعنا إلى النقد العربي القديم، لوجدنا ان تنظيراً لقدامة بن جعفر يعطي الصورة واضحة حول وضع المصطلح ونشأته، فيقول: "فإني لما كنتُ آخذاً من استنباط معنى لم يسبق إليه من لم يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجّت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك، والأسماء لا منازعة فيها إذا كانت علامات، فإن قنع بما وضعته، وإلا فليخترع كل من أبى بما وضعته منها ما أحب، فلا ينازع في ذلك"^(٤)، وهنا تجدر الإشارة إلى مسألتين في نص قدامة، الأولى: أن اختيار المصطلح كان فقط فيما لم

(١) ينظر: الحيوان، أبو عمرو الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦
٣٢٧-١.

(٢) ينظر: في المصطلح النقدي، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ٣٥.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي الحنفي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٦، ١-١.

(٤) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت، ٢٢.

يسبق إليه أحد، فلو كان موجوداً لم يُخترع له، ويكتفي فيما قاله السابق، وهذه لمحة مهمة في تقليص الإشكالية التعددية للتسمية، والثانية: أن قدامة يترك الأمر بالخيار لمن يريد أن يستعمل هذا المصطلح أو لا، فإن وجد فيه صلاحاً استعمله، وإلا فليخترع بديلاً في إشارة إلى حرية الأخذ والرد، وهذا ما جعل المصطلح يترك بعد اختراعه إلى سوق الاستعمال، فإن لقي رواجاً شاع وذاع، وإلا فإن تركه وموته هما النتيجة الحتمية له.

أما في العصر الحديث، فإن لطرق وضع المصطلح آليات تختلف عن القديم في كثير من حيثياتها، وذلك لأسباب متعددة، منها أن المصطلح لم يولد في بيئته الحقيقية، وإنما هُجّر من بيئته أخرى إلى بيئة جديدة تختلف اختلافاً كبيراً عن بيئته الأصلية، ومنها أيضاً أن الأمر لم يخضع لإجماع متفق عليه في إدارة تحويل المصطلح الغربي الحديث إلى العربي، مما أوقع القائمين على الأمر في إشكالية واضحة ووضع مربك، ومنها الإشكاليات المصاحبة لقضية الترجمة، ولا سيما تلك التي تترجم المصطلح إلى العربية عبر أكثر من لغة وصولاً إلى العربية، وغيرها من المعضلات والإشكاليات التي طرأت على نقل المصطلح وترجمته.

وإذا ألقينا نظرة على مجمل المصطلحات العلمية، نجد أن النّقلة اتبعوا في وضعها وسائل متعددة منها:

- تحويل المعنى اللغوي القديم لكلمة، وتضمينها المعنى العلمي الجديد.
- اشتقاق كلمة جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد.
- ترجمة الكلمات الأعجمية بمعانيها، وعدم الاكتفاء باللفظ فقط.
- تعريب الكلمات الأعجمية وعدّها صحيحة.^(١)

وبين كل هذه المقترحات والفرضيات، نجد الأستاذ أحمد مطلوب يشير إلى حجم الإشكالية وكيفية معالجتها، والحديث عن المصطلح النقدي في القديم والحديث، فيقول: "عَالَج القدماء وضع المصطلحات بوسائل مختلفة فجّرت طاقات اللغة العربية وجعلتها قادرة على

(١) ينظر: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٦٥، ٢٨.

استيعاب المستجدات، ومن تلك الوسائل (المجاز^(١) والاشتقاق^(٢) والارتجال^(٣) والتوليد^(٤) والقياس^(٥) والاقتراض^(٦)، أي التعريب^(٧))، ويضيف قائلاً: "ولعل العودة إلى كتب البلاغة والنقد والعروض، والنظر إلى المعاجم التي وضعت في السنوات الأخيرة، واستقراء المصطلحات توضح منهجية الاختيار والوضع التي يتبعها علماء الفنون"^(٨).

(١) اسم للمكان الذي يجاز فيه... وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى آخر، وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ٣/١٩٣.

(٢) هو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة، فإن اتفقت في الحروف الاصول والترتيب سمي صغيراً وهو أكثرها شيوعاً، وإن اتفقت في الحروف الاصول فقط من غير ترتيب سمي كبيراً، وإن غير أحد أصوله سمي أكبراً (ابداً) وشرط كلها الاتفاق في المعنى. ينظر: دراسات في فقه اللغة د. صبحي ابراهيم الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٠، ٢١٠، ١٧٤، وينظر: فقه اللغة العربية، د. كاسد ياسر الزبيدي، مطبوعات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ٢٩٧، ٢٩٦.

(٣) وهو مرتبط بالموضوع وأهميته، والارتجال ما كان انهمازاً وتدققاً لا يتوقف فيه قائله. ينظر: معجم النقد العربي القديم، د. احمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ١/١٣٠.

(٤) هو استحداث ألفاظ لم تتكلم بها العرب من قبل من أتوا بعد عصر الاحتجاج أي بعد منتصف القرن الثاني الهجري ولذا لا يحتج به. ينظر: المزهري في علم اللغة، السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ٢٤٢/٢، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، ١٦٧١/٢.

(٥) حمل مجهول على معلوم لمساواته له في علية حكمه، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد الأنصاري السنيكي، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ٨١/١، وقيل أيضاً: هو إلحاق مسألة ليس لها حكم بمسألة لها حكم مع وجود تشابه بينهما يستدعي الأولى على الأخرى، ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، دار الفرقان، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٢، ١٩١.

(٦) تغيير ألفاظ غير عربية الأصل وخلت إليها فتكلمت بها العرب بهيئتها الأعجمية أو أحدثت فيها تغييراً بالنقص أو الزيادة أو الإبدال أو التوسيع إن لم يكن فيها أصوات غير عربية، وإلا ألزموا أنفسهم ابدالها لئلا يدخل العربية ما ليس من أصواتها. ينظر: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي، أبو منصور موهوب بن احمد الجواليقي، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٦٩، ٥١، وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد المقرئ الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ مادة (عرب) ٤٠/٢.

(٧) بحوث مصطلحية، د. احمد مطلوب، د. احمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٦، ٧٨.

(٨) المصدر نفسه، ٨٠.

وهنا يستشهد الأستاذ أحمد مطلوب على هذه العلوم الثلاثة، ويصفها بالاستقرار الاصطلاحي وعدم حدوث أية إشكالية على مستوى المصطلح أو المفهوم إلا فيما ندر، من ذلك قوله: ومن أوضح ما يتجلى أمور:

- **الأول:** كانت الحقيقة اللغوية أو الوضع الأصلي للفظه أساساً في اختيار المصطلحات ووضعها، فلفظة (المثل)... ظلت محتفظة بمعناها اللغوي ولم تتغير، ومثلها لفظه الرمز^(١).
- **الثاني:** كان لتغيير الدلالة أثر واضح في وضع المصطلحات، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الظاهرة اللغوية التي كانت من وسائل نمو اللغة العربية وقدرتها.^(٢)
- **الثالث:** الاختراع^(٣)، وهو أن يضع الباحث أو المترجم لفظه للدلالة على معنى، لتكون مصطلحاً له.^(٤)
- **الرابع:** الاشتقاق: وهو من أهم وسائل نمو اللغة العربية، وأكثرها قدرة على إيجاد ألفاظ جديدة يمكن أن تساير المستجدات والإضافات التي تطرأ على اللغة.^(٥)

الأستاذ أحمد مطلوب، سيرته الذاتية ومنجزه الثقافي والمصطلحي:

وُلد الأستاذ أحمد مطلوب عام ١٩٣٦م في مدينة تكريت شمال بغداد، ودرس الثانوية في مدينة كربلاء وبغداد في ثانوية الكرخ عام ١٩٥٢م، ثم التحق بالدراسة للدراسة في قسم اللغة العربية في كلية الآداب/ جامعة بغداد وتخرج فيها عام ١٩٥٦م... ثم أوفدته الجامعة بعد ذلك للقاهرة عام ١٩٦١م، فحصل على شهادة الماجستير ثم حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٦٥م، تسلم مناصب عدة أعلاها وزيرا للثقافة والإرشاد في عام ١٩٦٧م وبعدها تسلم مناصب أخرى في تخصصه فأصبح أميناً عاماً للمجمع العلمي العراقي، وأستاذاً في جامعة بغداد^(٦).

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٨٠.

(٢) ينظر: الحيوان، أبو عمرو الجاحظ، ٣٤٧/١.

(٣). قال عنه ابن وهب: فهو ما اخترعت له العرب اسماً مما لم تكن تعرفه، البرهان في أصول البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، دار النهضة، بغداد، ١٩٦٧، ١٥٨.

(٤) ينظر: بحوث مصطلحية، ٨٤.

(٥) بحوث مصطلحية، ٨٦.

(٦) ينظر: القزويني وشرح التلخيص، د. أحمد مطلوب ٧٦٢.

بدأ الأستاذ أحمد مطلوب نشر بحوثه وكتاباته عام ١٩٥٨م في مقالات عدة أغلبها بلاغية وبدأ أيضاً بتأليف الكتب حتى بلغت الخمسين كتاباً في موضوعات متعددة منها البلاغية والنقدية القديمة والمعاجم والنقدية الحديثة، وتمثلت جهوده في ثلاثة اتجاهات، النشر والتحقيق والجمع والتبويب وآراؤه البلاغية المتناثرة في دراسته ومؤلفاته، ويكاد يكون عمله المصطلحي الذي تمثل بأكبر نتاجين على الإطلاق في نتاجاته النقدية والبلاغية هما (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) في ثلاثة أجزاء، و(معجم النقد العربي القديم) في جزأين، فضلاً عن كتابات اصطلاحية أخرى اخذت الجانب التطبيقي والتطبيقي للمصطلح قديماً وحديثاً^(١).

منهج الموازنة / تعددية الرؤيا: الأستاذ أحمد مطلوب-أنموذجاً-

يكاد السؤال الأهم في هذه القضية، هو لمَ هذه المقارنة بين دراسة المصطلح بين القديم والحديث، هل يستوجب الأمر ذلك؟ أين تكمن أهمية معرفة الخلاف بين هذا وذاك؟ هل هناك ما يدعو على تسليط الضوء على هذه القضية.

يمكننا الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها في اختيار هذه الموازنة بين المصطلحين النقيدين -القديم والحديث- لم تكن محل صدفة أو مثار اعتباط، وإنما هناك بواعث دعت لهذا الأمر عَبَر ممارسات المصطلحات النقدية وتطبيقها على العلوم المتنوعة، ولا سيما علم النقد، فيكاد هذا العلم يتخذ الحظ الأوفر في الاهتمام بالدراسة، وذلك بسبب ما يعتريه من إشكالية على مستويات متعددة، إصطلاحية، مفاهيمية، تاريخية، سياقية، وغيرها.

إن القارئ لتراث الأستاذ أحمد مطلوب في التأليف المصطلحي، يدرك تماماً أن الأستاذ لم يولي اهتماماً كبيراً لإشكالية المصطلح النقدي القديم تحت ذرائع متعددة، بقدر ما أولى اهتماماً واضحاً لإشكالية المصطلح النقدي الحديث، وقد حدد الأستاذ الأسباب الرئيسية لظهور الإشكالية، فضلاً عن مقترحات لحلها أو التخفيف منها، لأنها بدت واضحة الانتشار والإرباك في الوقت ذاته، ويبيّن أن هذه الإشكالية تؤثر سلباً على العملية

(١) ينظر: المصدر نفسه ٧٦٢.

الاصطلاحية، فضلاً عن التواصل مع العلوم فيما بينها وبين العلم نفسه، إذا ما قرأنا مصطلحاته، والاشكالية الحاصلة فيها

إن المصطلح النقدي القديم لا يخلو من إشكاليات على مستويات عدة، ولكن هذه الإشكالية لم تكن لتنتشر وبذاع صيتها، لأنها لا تشكل خطراً على العملية التواصلية، فأغلب الإشكاليات التي يعاني منها المصطلح القديم تتلخص في نقطتين أو أكثر، إشكالية تعدد المفاهيم أو تعددية المصطلح، وهذه تم حلها عند علماء الاصطلاح في قولهم: (لا مشاحة في الاصطلاح)، في إشارة إلى معرفة المبتغى والمراد.

منهج الموازنة/ تعددية الرؤية

إن الموازنة بوصفها منهجاً نقدياً استعمل قديماً منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا، ليمر بمراحل متعددة ورؤى مختلفة وأنماط متباينة، فلو استعرضنا الموازنة قديم نشأتها لوجدنا أن أغلب الموازنات ابتداءً من موازنة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة الفحل، والتي تعد من بدايات المنهج الذي استخدم الرؤية الذوقية والفطرية في تطبيقها، ومروراً بموازنة النابغة الذبياني بن حسان بن ثابت والخنساء، وغيرها من الموازنات التي كان لها الشأن في استقرار هذا المنهج وصولاً إلى التطبيق الصحيح له، فموازنة الأمدى بين أبي تمام والبحترى في كتابة (الموازنة بين الطائيين) على الرغم من الملاحظات التي كانت عليها في نقد في كفيته وموضوعها والحكم فيها، إلا أنها استطاعت أن تؤسس لمنهج نقدي أوضح لنا أن الموازنة الممكنة بين شاعر وآخر، يمكن أن تكون على قدر كبير من الضبط والدقة إن توافرت فيها صفات الموازنة من حيث اختيار الزمن، والموضوع وتناسبها في عملية الموازنة، والسؤال هنا إن كانت الدقة تقترب في الموازنة بين أديب وآخر في موضوع واحد وزمان واحد، فكيف بها إن كانت عند الأديب أو الكاتب نفسه؟ عند ذلك سنصل إلى نتائج أكثر قرباً ودقة، لأن الأديب أو الكاتب لم يتغير من حيث الوجود، بل ربما كان لعامل الزمن والمؤثرات التي وقعت عليه، فضلاً عن المتغيرات الفكرية، والتحديث المعرفي هو الآخر سبب في بقاء الكاتب على ما هو عليه أو تغيير نظرته.

الأستاذ أحمد مطلوب بين الأمس واليوم

يعد الأستاذ أحمد مطلوب من رواد الحركة الاصطلاحية في العراق والوطن العربي، إذ بدأ بكتابات عن المصطلح في أول مسيرة علمية وبحثية في حياته، واستمر بها حتى أصبح علماً اصطلاحياً يشار إليه كلما ذكر المصطلح، فضلاً عن أن الدراسات الاصطلاحية لا يمكن لها أن ترى النور دون الرجوع إلى الأستاذ أحمد مطلوب في مؤلفاته وكتابات عن لمصطلح، فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، المؤلفات التي ألفها، لوجدناها تأخذ المصطلح بوصفه دراسة وصفية تاريخية إحصائية، استقرائية، سارت باتجاه البلاغة العربية، ودراسة المصطلح فيها من حيث النشأة والتطور والاستقرار، وكان ذلك في كتابه (المصطلحات البلاغية وتطورها) في ثلاثة أجزاء، واستوعب أكثر من ألف مصطلح، ثم يعاود إلى المصطلح الأقرب إلى البلاغة العربية، وهو النقد، فنجدته يتحدث عن المصطلح النقدي من حيث النشأة والتطور والاستقرار عند النقاد القدامى في كتابه (المعجم النقدي العربي) في مجلدين إثنيين، ذاكراً فيه ما يزيد على الألف مصطلح، فضلاً عن الإنجاز الثقافي الآخر المتمثل بالكتب التي تناولت المصطلح النقدي دراسة وإحصاءً ومنهجاً، وهذا الاهتمام كان واضحاً ومنصباً نحو اتجاه واحد في بداية أمره نحو المصطلح النقدي القديم، لذلك فإن المنجز الثقافي للأستاذ أحمد مطلوب تمثل بالدراسات الكثيرة عن المصطلحات البلاغية والنقدية القديمة، مبيناً فيها التسلسل البلاغي والفكري والحضاري، وصولاً إلى الاستقرار الذهني والمفاهيمي لتلك المصطلحات.

الفصل الأول

المصطلحات النقدية وفهم النقاد القدامى وطريقة وضعهم لها

إن دراسة المصطلحات النقدية القديمة، تتطلب أبحاثاً مسبقة عن ماهيتها، وكيفية وضعها وصياغتها، قبل الخوض في دراسة المصطلح بعد اكتمال عوده واستواءه في الحقل العلمي المختص، ولا بد من الإشارة إلى الدوافع الأساسية التي شكلت ولادة المصطلحات، والغاية من تأسيسها والاختلاف في كيفية صياغتها وإطلاقها على مفاهيم متعددة، فضلاً عن الإشكاليات المصاحبة لهذا العمل، وكيفية صياغة الحلول والمقترحات.

إن البيئة التي نشأ فيها المصطلح النقدي العربي القديم، اختلفت عن غيرها من البيئات، فهي "لم تعرف مجامع لغوية، ولا مكاسب للتنسيق، وإنما عرفت مجالس وأسواقاً

أدبية"^(١) ، فضلاً عن أن المصطلح النقدي في هذه البيئة لم يكن وليد غزو ثقافي، أو هيمنة حضارية خارجية، وإنما كان نتيجة تطور داخلي وتفاعل داخلي لمكونات الجسم نفسه"^(٢)، فهو مصطلح ذاتي النشأة، وهذا يدل على وعي كبير لدى النقاد القدامى على أهمية المصطلح وحضوره في أي حقل علمي مختص.

ويوضح الأستاذ أحمد مطلوب في عدد من كتبه مؤلفاته، أن هذا الاهتمام لم يكن عرضياً، وإنما كان عن وعي ودراية، وأنهم كانوا على علم بأن أي خلل يصاحب تكوين المصطلح سيشكل خللاً في المنظومة، أجمع ويقول: "لقد جابه العرب في القديم ما يجابههم اليوم، ولكنهم استطاعوا أن يتغلبوا على المشكلة، ويضعوا لكل فنون الأدب والبلاغة والنقد مصطلحات عربية"^(٣)، ثم يتحدث عن آلية وطرائق وضع المصطلح النقدي، ويستشهد بنصوص لعلماء قداماء، مبيناً ذلك في أسطر متعددة، مثل قول الكفوي "الاصطلاح: هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل إخراج الشيء عن المعنى إلى معنى آخر لبيان المراد"^(٤)، وقيل أيضاً: "هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية"^(٥)، وقال أيضاً: "والاصطلاح يجعل اذن للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية"^(٦)، وكذلك "أن المصطلحات لا توجد ارتجالاً، ولا بد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة، كبيرة كانت أم صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي"^(٧).

(١) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج ونصوص)، الشاهد البوشيخي، عالم الكتب الحديث، اريد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ٨٤.

(٣) معجم النقد العربي القديم، ٢٦.

(٤) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨١، ٢٠١/١.

(٥) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٦.

(٦) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ٦.

(٧) المصدر نفسه.

هذه وغيرها من النصوص التي ذكرها واستشهد بها الأستاذ أحمد مطلوب في أغلب كتبه الاصطلاحية في موضوع وضع المصطلح وطرائق صياغته.

إن الاستشهاد بهذه النصوص يتبعها تعقيبات تدل على أن المصطلح النقدي في الثقافة العربية القديمة لم يواجه تلك المعضلات التي يواجهها المصطلح النقدي الحديث، والدلالة كثيرة عند الأستاذ أحمد مطلوب، ونلمس ذلك من خلال مؤلفاته التي اتخذت المصطلح القديم موضوعاً لها، ولعل أهم مصدرين على الاطلاق عنده في المصطلح القديم هما: (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) و (معجم النقد العربي القديم).
المصطلح النقدي القديم وآليات اشتغاله عند الأستاذ أحمد مطلوب.

ابتدأ الأستاذ أحمد مطلوب رحلته مع المصطلح النقدي بأبحاث ومقالات متعددة، وصولاً إلى أهم إنجاز (إن صح التعبير) على المستوى الاصطلاحي والساحة النقدية، وهما (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) و (معجم النقد العربي القديم) اللذان أثبتا حضوراً على الساحة النقدية، ولا سيما بين طلبة التخصص، إذ لا سبيل أمام أي طالب علم إن يغادر هذين المصدرين لأهميتهما وسعة انتشارها على المستويين المحلي والدولي، حتى قال الأستاذ أحمد مطلوب عن الأول بأن نسخه بيعت ونفدت كلها أول ما نزل الى السوق.

إن القارئ لمعجمي الأستاذ أحمد مطلوب، يرى فيها تقارباً كبيراً على المستوى السردى وطريقة الطرح، إذ يمكننا القول أن المنهج الذي وظّفه في المعجمين هو المنهج التاريخي للمصطلح، فيبدأ بالجذر اللغوي، ثم يبدأ بالمفاهيم، بدءاً من أقدم مفهوم عند أقدم ناقد، وصولاً إلى المتأخرين مع تبيان ومناقشة عدد من المصطلحات، وإبداء رأيه بها، وترجيحه لأفضلها وأفضل من تحدث عنها، مع الاستشهاد بالنصوص الفصيحة، ولا سيما الشعرية منها، وحرص على ذكر واستقراء كامل للمفاهيم عند النقاد أجمع بغية الوقوف على المفهوم الصحيح والموسوعي للمصطلح المراد دراسته، ويتضح من خلال القراءة أن عدداً قليلاً فقط من المصطلحات التي بدت فيها إشكالية تعددية التسمية، واحدية المفهوم أو العكس، مثال ذلك مصطلح التضمين وغيره.

مصطلح التضمن أنموذجاً

يعد مصطلح التضمن من المصطلحات النقدية العربية القديمة التي عانت من إشكالية على مستوى التسمية والمفهوم، فضلاً عن تعددية الاستخدام في الحقول الدلالية المختلفة، وقد تحدث عنه الأستاذ أحمد مطلوب في معجميه البلاغي والنقدي، وإن تقاربت مفردات الحديث عنه في كلا المعجمين، إلا أنه أخذ حيزاً أكبر في المعجم النقدي، فقد ابتدأ بذكره في المعجم البلاغي معجماً، ومن ثم تصنيفه الدلالي، فيبدأ بعلم العروض، وقال: "التضمن في العروض هو أن يتباين على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضياً"^(١).

واستشهد بيت للنابغة الذبياني قوله:

وهم أصحاب يوم عكاظ إني

وهم وردوا الجفار على تميم

وثقت لهم بحسن الظن مني^(٢)

شهدت لهم مواطن صالحات

ثم قال: والتضمن عند البلاغيين هو "استعارتك الانصاف والأبيات من غيرك، وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك"^(٣)

ويستشهد بقول الشاعر:

غداً غداً إن لم تعفها العوائق

إذا دله عزم على الحزم لم يقل

فيفعل ما يرضاه خلق وخالق

ولكنه ماضٍ على عزم يومه

(١) الموشح مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٥، ٢٣، وينظر: الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦، ٢٩٢.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ٦٨.

(٣) كتاب الصناعين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ٣٦، وينظر: تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حنفي محمد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٣، ١٤٠.

ثم يشير الأستاذ أحمد مطلوب إلى التضمنين بمعنى آخر، ويتحدث عنه ويطلق عليه تسمية التضمنين اللغوي، ثم يخلص في ختام حديثه عن هذا المصطلح بكلام جامع للسيوطي فيقول: "وقد لخص السيوطي معاني التضمنين فقال انه يطلق على أشياء: الأول: إيقاع لفظٍ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكرٍ له باسم هو عبارة عنه، وهذا نوع من الإيجاز. الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها.

الرابع: إدراج كلام الغير من أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى وترتيب النظم، وهذا هو النوع البديعي"^(١)

بهذا يبين الأستاذ أحمد مطلوب أن الإشكالية القائمة حول مصطلح التضمنين لا تعدو سوى تعدد لمفاهيم التضمنين في علوم مختلفة، فتارة لغوي وتارة بلاغي، وأخرى عروضي، وهذا عند القدماء لم يكن أهمية تذكر بسبب معترضة المعنى تحت قولهم المشهور: (إذا عُرِفَ المعنى فلا مشاحة في الاصطلاح)، والجدير بالذكر ان احمد مطلوب لم يُشير أي تساؤلات على إشكالية هذا المصطلح وتعدد تسمياته، بل اكتفى بذكره في كل علم مع الأمثلة والشواهد الخاصة به، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ان التعددية الاصطلاحية أو المفاهيمية لم تشكل عائقاً أمام فهم المصطلح ومفهومه لدى القدماء، ولعل أهم الأسباب التي دفعت النقاد إلى هذا الأمر هو أن المصطلح ولد في بيئة عربية خالصة، وهو لم يأت مهجراً من لغات أخرى أو تمت ترجمته أو تعريبه، بل ولد من المعجم العربي، واستطاع أن يوظف في أكثر من علم، لقوته وصلاحيته (إن صح التعبير).

الفصل الثاني

المصطلح النقدي والحديث وإشكالية دراسته

إن اللغة تسعى في اشتغالها إلى الوصول إلى وظيفتها الأساسية، والتي وضعت من أجلها، وهي التواصل بين الأفراد والشعوب والمجتمعات، ولا يعني هذا أن التواصل هو المسبب الوحيد للغة، ولكنه الأهم على الإطلاق، وليس بين الأفراد الناطقين بها

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٢٦٤/٢، ينظر: معجم النقد العربي القديم، ٣٥٣/١.

فحسب، بل حتى مع الآخرين من لغات أخرى، فهي دوماً تعمل على الوظيفة التواصلية، وهذا لا يمكن أن يحصل دون وجود معجم لهذه اللغة، تستمد منه ألفاظها وتسمياتها وجذورها اللغوية، والضابط في الاستعمال ضمن نطاق هذه اللغة هو المصطلح، فهو الذي يعمل على ضبط الحقول الدلالية والعلمية، وهو أساس كل علم، ولا يمكن الاستغناء عنه بأي شكل من الأشكال، إلا أن ما يثير اهتمامنا في هذا الفصل، أن المصطلح النقدي في أي لغة لا يمكن أن يؤدي دوره الوظيفي على أحسن وجه، ما لم ينقل إلى ثقافة أخرى وبلغة أخرى أيضاً، عندئذٍ ستبدأ لدينا مرحلة جديدة من الإشكالية عبر طرائق متعددة تكمن في النشأة أولاً والانتماء الثقافي ثانياً والترجمة أو التعريب ثالثاً، وبين هذه الإشكاليات يسعى الباحث جاهداً إلى الوصول إلى حالة من الوصف التشخيصي، ومن ثم اقتراح الحلول الممكنة في الخروج بآليات ممكنة، تعمل على تقليل هذه الإشكالية وفهمها.

يُعدُّ المصطلح وليد ثقافة معينة يكون فيها متداولاً ومعروفاً بلغته أولاً، وبحمولته الثقافية ثانياً، ولكن سرعان ما يتغير هذا الأمر عند نقله إلى ثقافة أخرى ولغة أخرى حاجة ما في تلك الثقافة إلى هذه المصطلحات، فعلى سبيل المثال أن المثاقفة الاصطلاحية أمرٌ لا بد منه، وواقع معاش، وينتج عن هذه المناقشة تداخل كبير بين المصطلحات المترجمة الجديدة مع ما هو موجود أصلاً في الثقافة المنقول إليها، عند ذلك تبدأ عملية الفصل والفرز بين ما هو كائن وما هو منقول، فضلاً عن أن المصطلح لا يمكن فهمه خارج إطاره الزماني والمكاني، وبذلك يصبح مجرداً عن حمولته الثقافية، فتتشكل إشكالية جديدة "لأن المصطلح إذا خرج عن هذا الإطار فإنه لا محالة سيدخل في عالم التشويه والفهم المغلوط والتطبيق السيء"^(١)، لذلك يمكن القول "إن المفاهيم والمصطلحات لا تنفك بأي حال عن امتدادها التاريخي وعمقها الثقافي/المجتمعي، فللمفاهيم أسس معرفية تاريخية محددة ومستقلة، يصعب نمذجتها في إطارات مجتمعية أخرى بإغفال دلالات المفاهيم ومقاصدها، ولا يعني ذلك إلغاء عملية التواصل الثقافي

(١) إشكالية المصطلح في الفكر العربي المعاصر، محمد محفوظ، مجلة الكلمة، عدد ٨ لسنة ١٩٩٥،

والحضاري بين المجتمعات، وإنما الإقرار بوجود خصوصيات حاكمة على منظومة المفاهيم في كل مجتمع، لها فلسفة خاصة وفهم خاص وروح خاصة^(١).

التوجيه النقدي لأسباب الإشكالية من وجهة نظر الدكتور أحمد مطلوب:

إن الحديث عن الإشكالية ومسبباتها، حديث طويل، ويمتد لزمن غير قريب لأهمية المسألة وحضورها في ميدان الدرس النقدي والاصطلاحي، وعالم مثل الأستاذ أحمد مطلوب عُرِفَ بمنجزه الثقافي والاصطلاحي، فضلاً عن التراثي، لا بد من أن لديه توجيه لهذه القضية، فقد تحدث عنها، وأطال القول فيها، وربما اختلف عن غيره في أن فضّل القول تنظيراً ووصفاً، مع ذكر الشواهد عليها، ولم يكتفِ بهذا القدر، بل وضع الحلول وطريقة الوصول إلى الحلول بطريقة سلسلة ومنهجية، تتم عن إدراك حجم المشكلة، فضلاً عن الآليات الممكنة لحلها أو الوصول إلى نقاط مشتركة في الفهم، وهذا التمييز لم يأتِ اعتباطاً، فقد خصص الأستاذ أحمد مطلوب أغلب وقته وباحثه بالاتجاه الاصطلاحي والمعجمي، ولا نذكر ذلك من باب المقارنة، وإنما من باب معرفة الشيء على حقيقته، فكثير هم من تحدث عن المصطلح وإشكالياته، ولكننا وجدناهم يتحدثون بأسلوب مقتضب مع عدم وضع الحلول أو الطرق الموصلة إلى هذه الحلول، بل وجدنا أغلب الدارسين يكتفون بالوصف أو النقل.

وعوداً على الأستاذ أحمد مطلوب ومنهجه إلى قضية إشكالية المصطلح وأسبابها وحلولها، نجده يبدأ بذكر الأسباب التي أوصلت المصطلح إلى هذه الشاكلة، فيقول: "إن إشكالية المصطلح النقدي حدثت من فوضىة التأليف والترجمة"^(٢)، ويعقب بعدها بشرح مفصل عن هذه الإشكالية، وزادها تعقيداً في نقاط متعددة:

١- اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين، ويقسمهم على مستويات ثلاثة حسب ثقافتهم،

فالأول: ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية.

الثاني: ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده بالعربية.

(١) إشكالية الإطار المرجعي في الفكر العربي المعاصر - قراءة نقدية - فؤاد إبراهيم، مجلة الكلمة، عدد ٨، لسنة ١٩٩٥، ٤٩.

(٢) في المصطلح النقدي، ٣٦.

الثالث: ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف^(١).

ويخلص الأستاذ أحمد مطلوب إلى نتيجة بخصوص النقطة الأولى، فيقول: "ولن يكون هنالك مصطلح عربي إن لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة الأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات"^(٢).

٢- اختلاف الاوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الأدبي والنقدي^(٣)، ويعلق قائلاً على هذه النقطة بقوله: "كيف يفهم العربي هذا التفاوت إن لم يفهم الروح الأدبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور؟ وكيف يحدد مصطلحاتها؟ ويستعمله ويديره في كتاباته، وهو يجهل دلالاته الدقيقة"^(٤).

٣- الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة، وبذلك يسبب إرباكاً واضحاً لدى المتلقي^(٥).

٤- "الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء"^(٦)

مصطلح الشعرية أنموذجاً:

يعد مصطلح الشعرية من المصطلحات المهمة في النقد الأدبي الحديث، وفي الوقت ذاته من أكثر المصطلحات إشكالية على مستويات المنهج والمصطلح والمفهوم، وقد أورده الأستاذ أحمد مطلوب على أنه مصطلح إشكالي مع مصطلحات أخرى، لها الوصف نفسه في النقد الحديث.

يبدأ الأستاذ أحمد مطلوب بالحديث عن هذا المصطلح، فيشير إلى تأريخيته بقوله: "الشعرية من الألفاظ التي حاول الشكلاونيون الروس بعثها، ولم يعرفها العرب القدماء

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٣٦.

(٢) في المصطلح النقدي، ٣٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ٣٧.

(٥) ينظر: مقدمة علم المصطلح، علي القاسمي، د. علي القاسمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٥ - ٨٢ - ٨٤، وينظر: في المصطلح النقدي، ٣٧.

(٦) في المصطلح النقدي، ٣٨.

بمعناها الحديث، وإنما ترددت عندهم ألفاظ، مثل (الشاعر، شعر الشاعر، القول الشعري، القول غير الشعري، الأقاويل الشعرية)^(١)، ثم يتحدث عن وصفه وماهيته، فيقول: "ينحصر معناه في إتجاهين: الأول: فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول إلى شعر يدل على شاعرية ذات تميز وحضور"^(٢)، ثم يتابع بعد ذلك بسرده لمعاني الشعرية المتعددة في الاتجاه الأول فقط على شكله توصيفات ومفاهيم، بقوله:

"أنها تسعى إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، وأنها تبحث هذه القوانين داخل الأدب ذاته"^(٣)

وأنها اسم لكل حالة صلة بإبداع كتب أو تأليفها، حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة، لا بد للعودة إلى المعنى الضيق الذي يعنى بمجموعة من القواعد والمبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر^(٤)

وأنها علمك الأدب، أي أنها تتحد من حيث هي علم بآداب وعلم موضوعة الشعر^(٥)، وأنها موضوع لمحاولة التقنن التي تصدى لها فن الكتاب المدعو بالبلاغة، وقد عنت زماناً طويلاً معايير نظم الشعر، وأنها علم الأسلوب الشعري، وهدفها البحث عن الأساس الموضوعي، الذي يستند إليه تصنيف نص في هذه الخانة أو تلك^(٦)

وبعد سرد هذه المفاهيم لمصطلح الشعرية، يتضح حجم المشكلة التي تعترى هذا المصطلح، فضلاً عن أن كل هذه المفاهيم فقط للاتجاه الأول من المفهوم العام للشعرية، ويتبين للقارئ أن مصطلحاً بهذا الكم من المفاهيم يصعب على المتلقي أن يدرك معناه وأن يمسه بتلابيب مفهومه، فتعددية المفهوم بهذا الشكل يجعل من المصطلح مربكاً ومشوشاً للقارئ، إذ إن القارئ يعتمد في قراءته على المصطلحات ومفاهيمها للوقوف على

(١) المصدر نفسه، ٤٥.

(٢) ينظر: في المصطلح النقدي، ٤٥.

(٣) ينظر: الشعرية، تودوروف، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ٢٣.

(٤) ينظر: الشعرية، ٢٣-٢٤.

(٥) بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء،

١٩٨٦-٩-

(٦) المصدر نفسه، ١١-١٤.

ضبط دالته ومعرفة خصوصية العلم الذي انتمى إليه، فكيف به إذ عمد إلى مصطلح الشعرية فوجدها بهذا الشكل؟ سيصاب بالصدمة أولاً، وبعدها يصعب عليه الوصول إلى مفهوم موجد، لأن المفاهيم أعلاه لا يمكن أن تجمع في مفهوم واحد، أو معنى واحد، لأن ذلك محالاً بسبب ما يوجد من تنافر بين مفهوم وآخر، وهذا ما يعتقد المعادلة ويجعلها صعبة الوصول إلى المعنى المراد.

أما الاتجاه الثاني لمفهوم الشعرية، فيتشكل من الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح والتفرد، وخلق حالة من التوتر، ومما قيل في هذا الشأن^(١):
 "أنها" خصيصة علائقية، أي تجد في النص لشبكه من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمّتها الأساسية أن كلاً منها يمكن أن يقع في سياق آخر، دون أن يكون شعرياً، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها، يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية، ومؤشر على وجودها"^(٢)، وأنها "إقامة حد فاصل بين الشعر واللا شعر"^(٣)، وأنها إحدى وظائف الفجوة أو مسافة التوتر"^(٤)، وأنها "وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية، وتتجلى هذه الوظيفة في علاقات التطابق المطلق أو النسبي بين هاتين البنيتين، فحينما يكون التطابق مطلقاً تنعدم الشعرية أو تخف، إلى درجة الانعدام تقريباً، وحين تنشأ خللة وتغاير بين البنيتين تتبثق الشعرية وتنفجر في تناسب طردي مع درجة الخللة في النص"^(٥)، وأنها "الانحراف عن التعبير"^(٦)، وأنها "الانزياح الذي هو الشرط الضروري

(١) ينظر: في المصطلح النقدي، ٤٦.

(٢) في المصطلح النقدي، ٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ٤٦.

(٥) في المصطلح النقدي، ٤٦.

(٦) في الشعرية، د. كمال أبو ديب، بيروت، ١٩٨٧، ١٣٥.

لكل شعر^(١)، **وانها** "عملية ذات وجهين متعايشين متزامنين..... **وأنها** طريقة الوعي الذي يكون الشعر الأداة المفضلة فيها"^(٢).

وبعد هذا السرد الكثير لمفاهيم الشعرية المختلفة في الاتجاهين المذكورين، يقول الأستاذ أحمد مطلوب: "وليس من تقاطع بين الاتجاهين في فهم الشعرية، لأن كل واحد منها يرجع إلى الآخر، فالأول هو القواعد والأصول التي ترسم الطريق للأديب، والثاني نتيجة تلك الأصول، وتجربة الأديب وقدرته على الابتكار والابداع"^(٣)، ثم يستدرك قائلاً في وصف هذا الكم الهائل من المفاهيم التي صاحبت هذا المصطلح: "وليس من اليسير وضع تحديد للشعرية لأنها بمعناها الحديث لا تزال في بداياتها، ولأنها في تحول دائم"^(٤)، وليس ذلك فحسب، بل إن معناها اختلف باختلاف النقاد والباحثين، وما تزال تحتل موضعاً مركزياً في أنظمة نقدية جمالية^(٥).

ويقول الأستاذ أحمد مطلوب في ختام استعراضه لهذه المفاهيم: "إن تعريف مصطلح الشعرية أخذ مسارات متعددة، وبعضها غامض لا يوضح فكرة ولا يرسم سبيلاً، ولو رجع الباحثون العرب إلى تراثهم لوجدوا فيه ما يحقق الهدف ويقرب المصطلح إلى الأذهان"^(٦).

ثم يخلص الدكتور أحمد مطلوب إلى القول في مصطلح الشعرية، مبيناً السبب الرئيس لهذه الإشكالية وكيفية حلها بقوله: "ولو أخذ الباحثون والنقاد بما في البلاغة العربية من أسباب الشعرية، لوجدوا خيراً كثيراً، لأن العرب لم يهتموا بهذا الجانب، وقد انطلقوا في فهم الشعر من طبيعة اللغة العربية وفن القول العربي، فجاءوا بكل جديد بديع لا يختلف عما شاع في الدراسات الحديثة، إلا في بعض المصطلحات والتفاصيل، وقد

(١) في المصطلح النقدي، ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ٤٧.

(٣) في الشعرية، ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ١٣٥.

(٥) ينظر: في المصطلح النقدي، ٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ٤٧.

أوقعهم إهمالهم التراث العربي في الغموض أحياناً، وفي الابتعاد عن روح اللغة العربية وفنها القولي" (١).

الحلول المقترحة للتخفيف من الإشكالية الاصطلاحية

ليس من السهل التوصل إلى حلول نهائية للإشكاليات الاصطلاحية، ولا سيما مع المصطلح النقدي الحديث لأسباب متعددة، منها نشأته واضطرابه وترجمته واختلاف النقاد فيه وغيرها، ولكن في الوقت ذاته من غير الممكن أن يبقى الحال كما هو عليه من خَلْقٍ للإشكالية وزيادة عليها، فضلاً عن تعددية المفاهيم الكثيرة، ولتسميته، كما هو الحال في المصطلح الشعرية، لذا، فقد وضع الأستاذ أحمد مطلوب خطة عمل يمكن من خلالها حصر الإشكالية واحتوائها، وقد لخصها بنقاط متعددة:

- ١- رصد المصطلحات النقدية العربية، والوقوف على دلالاتها، وتغيرها في العهود المختلفة، والأخذ بما ينفع في النقد الأدبي الحديث.
- ٢- جرد أهم الكتب الأدبية والنقدية واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت عندهم، والاتفاقات على مصطلح دقيق الدلالة على المعنى الجديد.
- ٣- جرد أهم كتب المصطلحات الأدبية وكتب الفلسفة، فضلاً عن كتب الأدب والنقد والترجمة.
- ٤- الاطلاع على الموسوعات الأدبية الأجنبية ونقدها بلغاتها الأصولية، والاستعانة ببعض المعاجم، لتحديد معنى المصطلح اللغوي، والوقوف على دلاليته، كما تصورها المعاجم الأجنبية.
- ٥- تصنيف ما يجمع من التراث القديم والفكر الجديد بحسب حروف الكلمة لتسهيل مراجعة الكلمة.
- ٦- تعريف المصطلح تعريفاً وافياً، والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده، وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الأجنبي والاستفادة منه عند الترجمة أو

(١) في المصطلح النقدي ، ٤٨ .

التأليف، ويبقى المصطلح العربي الأصيل أساساً في عرض المصطلحات، ولا سيما ما استقر منها، وأصبح أكثر دلالة من غيره^(١).

ويختم قوله بـ "إن الشكوى من (إشكالية المصطلح) ستظل ما دام المعجم النقدي الحديث بعيداً عن التحقيق، وسيظل الأدباء والنقاد والمؤلفون والمترجمون في نقاش لا يوصل إلى السبيل القويم ما داموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق أمامهم"^(٢).

الخاتمة

لكل عمل نهاية ولكل منجز خاتمة يوضح فيها أهم ما توصل اليه الباحث في نقاط وهي كالآتي:

- ١- ان المصطلح النقدي لا يولد من فراغ وانما من رحم اللغة التي اشتغل فيها، وأي اختلاف بلغة المصطلح يقابله خلخلة في المفاهيم ، لأن الترجمة من شأنها أن تضيف إشكالية واضحة على المصطلح والمفهوم.
- ٢- ان دراسة المصطلح النقدي عند ناقد معين يتطلب ذلك اجراء مقارنة بين المنجز الثقافي القديم والحديث وبعد ذلك استنباط ما بقي على حاله مما تغير بحسب اللغة والاصطلاح.
- ٣- المصطلح دراسة موازنة تلزم الباحث بالإحاطة بالمنجز الاصطلاحي للناقد المعين كي يتسنى أن تخرج النتائج قريبة من الواقع.
- ٤- ان المصطلح النقدي القديم خلا من كثير من الاشكاليات التي صاحبت المصطلح النقدي الحديث لأسباب أهمها الترجمة والبيئة.
- ٥- ان المصطلح ابن بيئته وأي استخدام خارج بيئته يتطلب معرفة الحقل المهجر اليه مع اصطحابه مصطلحا مقابلا يتناسب مع اللغة المهجر اليها.
- ٦- لا يمكن نسخ المصطلح من حملته الثقافية، فالمصطلح عندما يأتي من لغة جديدة وبيئة مختلفة لا يأتي لوحده وانا يأتي بحمولته الثقافية وتوجهه الايديولوجي.

(١) ينظر: في المصطلح النقدي، ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ٦١.

- ٧- المصطلح النقدي الحديث أكثر اشكالية من المصطلح النقدي العربي القديم لصفاء اختياره وعدم الاختلاف في مفاهيمه والاتفاق بين العلماء المختصين على اسمه وصيغته وفعله .
- ٨- كان الاستاذ أحمد مطلوب ميالا للمصطلح والنقد القديم بينما استطاع أن يصور المصطلح النقدي الحديث على انه من المصطلحات التي عانت من اشكاليات يصعب على المرء استيعابها .
- ٩- يوحى الباحث الى دراسة وصية الاستاذ احمد مطلوب بالاتفاق على جملة الحلول المقترحة منه بغية الوصول الى فهم واحد ومصطلح واحد وهو مذكور في نهاية المبحث الثاني .
- ١٠- يكفي لمصطلح الشعرية ان يكون اشكاليا لكثرة مفاهيمه مع واحدية المصطلح، والقارئ لها يدرك ان الشعرية مصطلح اشكالي بامتياز .

The critical term in Ahmad's legacy (رحمه الله)

Between ancient and modern

Dr.. Muhammad Ghanem Sharif

Abstract

The work on the idiomatic and conceptual side is work in the origin of the language, and this is what Mr. Ahmed wanted in the beginning of his writings. He set a goal and achieved it in his studies, (The Lexical Terminology and Its Development) and (The Glossary of Old Arab Criticism), and these two sources are the basis of every term researcher He could not leave it because of its importance, as he was able to employ more than a thousand studies in the study historically from the oldest critic or scientist to another who talked about it until its stability, as well as other books, was able to raise this issue and make it the focus of attention of researchers, to realize the size of the problem in the term If it was misused or ways to put it before.